ثقافة التسامح وقبول الآخر كأساس للتعايش السلمي

د. هانم أحمد حسن شحاته أبوالنيل *

مقدمة:

يكاد لا يخلو العالم من المشكلات والصراعات سواء أكانت صراعات فكرية أم مذهبية أم عقائدية أو حتى استعمارية، والتي تئول في النهاية: إلى صراعاتٍ مسلحةٍ لتحقيق أطماع معينة تكسر دولًا وتقسم أخرى وتُضعف ثالثة؛ لذا لا بُدَّ من مجابهة تلك الصراعات لا بصراعات مضادة ولكن بوسائل وأدوات الرقي الإنساني، ونشر وتأصيل القيم السامية للحضارات الإنسانية من أسباب التفاهم والتسامح وقبول الآخر والالتزام بقواعد ومبادئ العدالة الإنسانية.

كما تشير التعددية الثقافية إلى عقليات البشر المختلفة وعاداتهم ومعتقداتهم وسلوكهم؛ فبعض المجتمعات يتألف من نسيجٍ ثقافيٍّ واحد وبعضها من نسيجٍ ثقافيٍّ متعدد، سواء أكانت الفوارق الثقافية بين الجماعات التي يتكون منها المجتمع ثانوية أم أساسية، وبعض المجتمعات أسهمت ظروفها التاريخية في الحفاظ على هيمنة نسيج ثقافي أحادي، وبعضها قضت ظروف نشأتها التاريخية بأن تكون متعددة ثقافيًا تكونت من جماعات ثقافية مختلفة كالولايات المتحدة الأميركية مثلًا، وبين هذين النموذجين مجتمعات تتفاوت مستويات تعدُّدها الثقافي، فالتعددية الثقافية هي التقدير والتفاهم والقبول والاحترام المتبادل للثقافات المختلفة والمشاركة للعمل معًا لبناء مجتمعات موحدة، فهي النظام الأكثر عدلًا بحيث يُسمح للناس التعبير بحرية عن حقيقة من هم داخل المجتمع، وهي نظام أكثر تسامحًا يتكيف بشكل أفضل مع القضايا الاجتماعية.

وعليه، فإن فضيلة التسامح ضرورية إلى أقصى الحدود خصوصًا في حضارتنا المعاصرة– لا سيَّما في أوروبا – التي تشهد بروز مجتمعات متعددة الثقافات، وبها تنوع في الفوارق الدينية والمذهبية، فإن استطاع الناس ذوو القناعات الدينية والأيديولوچية والسياسية المختلفة أن يعيشوا

* مدرس التربية المقارنة والإدارة التعليمية – كلية التربية – جامعة مصر.

معًا في مجتمع ديمقراطي تعدُّدي، هنا يكتسب التسامح أهمية خاصة، ويصبح له الدور الأعم والفعال في ازدهار الحضارة، وبما أن الحاجة تدعو اليوم وبشدة إلى بعث الحياة في القيَم الإنسانية السامية ونشرها، فقد يكون من الأهمية والضرورة التدقيق في مفهوم التسامح، وتبيان أهميته من خلال اتصاله بالحياة الاجتماعية.

وعلى صعيدٍ آخر، ضربت الحضارة الإسلامية التي انطلقت من تعاليم الإسلام أروع الأمثلة في التسامح والتعايش الإيجابي بين الأمم والشعوب من مختلف الحضارات والثقافات والأديان والأجناس، حيث احتوت اختلاف الثقافات، وعملت على منع الآخرين من أن يكونوا آخرين؛ لذا فقبول اختلاف الآخرين سواء في الدين أم العرق أم السياسة – هو التسامح الحقيقي الذي ازدهرت به الحضارة الإسلامية، ولا تزال هذه التعاليم الإسلامية حيَّة وقادرة على صقل عقل الأمة وتوجيه سلوكها وتعاملها مع كل البشر في كل زمان ومكان.

ومما لا شك فيه أن الدين الإسلامي عامةً، والأديان خاصةً، وكل ثقافات العالم منذ القِدَم إلى وقتنا المعاصر تدعو إلى التسامح، إلا أنه يظهر بين الحين والآخر أفكار ومعتقدات تدعو إلى العدوانية والتعصب، تلك الأفكار ليست مقصورة على مجتمع بعينه، أو ثقافة بعينها بل هي ظاهرة عامة في كل المجتمعات؛ لذلك يجب أن يكون هناك إصرار من المسئولين، ورجال الدين على بث الوعي بين الإنسانية في اكتشاف رؤية عصرية لمفهوم التسامح، من داخل قيم كل مجتمع، ومن طبيعته التشريعية، والقانونية التي تمثلها قيم الأديان ونظامها الأساسي، وذلك بطرح العلاقة بين التسامح وكُلٍّ من الدين والأيديولوچيا والفلسفة.

فالتسامح اليوم ليس فضيلةً فحسب، بل هو ضرورة اجتماعية وثقافية وسياسية؛ لذلك ومن أجل تحصين واقعنا أمام كل المخاطر الزاحفة إلينا، والتي تستهدفنا في وجودنا ومكاسبنا وتطلعاتنا يجب تعميم وغرس هذه القيمة في فضائنا الاجتماعي، فنحن بحاجةٍ إلى سياجٍ قانونيّ وإجرائيّ يحمي هذه القيمة ويوفر لها الإمكانية الحقيقية؛ لكي تُستنبت في تربتنا الاجتماعية، وهذا يتطلب منا ضرورة تجريم كل أشكال بث الكراهية والحقد بين أبناء الوطن والمجتمع الواحد، فاللحظة التاريخية تتطلب منا جميعًا القبض على وحدتنا واستقرارنا، وهذا بطبيعة الحال يتطلب الوقوف بحزمٍ ضد كل محاولات بث الفُرْقة والكراهية والحقد بين أبناء الوطن الواحد.

وبذلك يعدُّ قبول الآخر المختلف شرطًا من شروط التواصُل والتكامُل بين بني البشر، إذا انعدم الحيف والإقصاء وسادت ثقافة التسامح والحوار بدل التصادم والتمييز بسبب الجنس أو

الدين أو القومية. وطالما أن الاختلاف لا يكون على حساب وجود الآخر أو على حساب هضم حقوقه، فإن المُواطنَة تنبني على هذا المبدأ من الاحترام المتبادل وقبول التعددية الفكرية.

واليوم نحن بحاجة لنشر ثقافة الحوار والتعددية والتسامح الديني في أبعاده الوجودية كضرورة حضارية اقتضتها السُّنَن الإلهية في نظر الإسلام، وقد صرح القرآن بذلك من خلال الآلآية: الكريمة "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (سورة الحجرات، الآية: ١٣)، لقد أكدت الآلآية: أقوال الفلاسفة والحكماء وما أثبته التاريخ والواقع من أن الإنسان مدني بطبعه؛ أي أنه لا يستطيع استكمال قدراته وتحقيق مختلف توازناته إلا داخل وسط اجتماعي متشابك، يحضر فيه التجانس والتنافر والتحابُب والتباغض والخير والشر والأنا والآخر.

كما تشير القرائن والأدلة القرآنية والتاريخية إلى أهمية منهج التعايش السلمي في الإسلام، وسَعَته في تقبُّل الاختلاف والتنوع واحترام الآخر وصيانة حقوقه دون عدوان أو صراع، وإظهار رفض الإسلام لكل أشكال العنصرية بسبب اللون أو الجنس أو العرق أو غيرها من المميزات غير الاختيارية، كما تؤكد التجاوب مع ثقافات الشعوب، والعيش المشترك، وهي مُنطلَقات مُستمدَّة من قواعد كبرى واضحة في تعاليم الإسلام وعقيدته قرآنًا وسنةً وأثرًا؛ كون السلام في الإسلام هو أصل العلاقات بين الأفراد والجماعات والدول.

وبناءً على ما سبق تأتي أهمية الموضوع من ضرورة نشر ثقافة التسامح والقبول والتراحم، والرد على سلسلة المغالطات التي تروِّج لها جهات أجنبية، أو مؤسسات معادية، أو مصادر داخلية وظفت نصوصًا دينية توظيفًا سياسيًا أو قوميًا لمآرب خاصة، وتفنيد المغالطات المقصودة أو غير المقصودة التي كانت حافزًا لحالة توتير داخلي في بعض المجتمعات الإسلامية والعربية، وتصحيح المفاهيم والممارسات التي حَرَفت مجتمعاتنا عن سبيل الاتفاق.

أولًا: ثقافة التسامح:

تكمن قيم التسامح في احترام الوجود الإنساني بتنوعه، وهي أرضية أساسية لبناء المجتمع المدني وإرساء قواعد العيش المشترك، كما إنها قيمة أخلاقية وإنسانية تستوجب الاحترام المتبادل والتقدير المشترك والتعامل في نطاق الدائرة الموضوعية دون المساس بدائرة الخصوصية، وإثارة حساسيتها حتى نعدم انتهاك الحرمات الذاتية المفضية إلى التطاحُن والتعصُّب والتصادُم بدل

تبادل المعارف والمنافع والمصالح، والشراكة الفاعلة التي تنفع الجميع. وقد اشتمل القرآن الكريم على أكثر من مائة آية: موزعة في ستٍّ وثلاثين سورة تدعو إلى احترام الأديان الأخرى وأتباعها واحترام خصوصيتها.

وظهر من السياقات التاريخية أن القرآن شنَّع بالمشركين حين رفضوا أن يعيش دين جديد بجوار دينهم وقرروا مَحْقَه واستئصاله من الوجود، كما نهى الإسلام عن سب المشركين وسب عقائدهم ودعاهم إلى حُسن التعامل مع المخالف، ومن هذه المنطلقات وغيرها فإن مختلف الدعاوى المعاصرة إلى الإقصاء والتعصب والتصادم والحروب المقدسة، دعاوى لا يستسيغها التعامل الراهن لأن الرسالات السماوية تدعو جميعها إلى التسامح، وإن ما ظهر من فترات حالكة في التاريخ تقابله لحظات مشرقة وتجارب إنسانية رائدة في التسامح والتقارب.

مفهوم التسامح

لغةً: جاء في (اللسان: سَمَحَ): السماح والسماحة – الجُود، ورجلٌ سَمْحٌ وامرأةٌ سَمْحةٌ وسَمَحَ وأسْمَحَ إذا جاد وأعطى عن كرمٍ وسخاء، وسمح لي فلان أي أعطاني، وسمح لي بذلك: وافقني على المطلوب، والمُسامَحة: المُساهَلة، وتسامحوا: تساهلوا.

فنجد في اللغة العربية: يظهر من خلال لفظ كلمة: "تسامُح"، وفي اللغات الغربية وغيرها الإنجليزية والفرنسية أن هذا التعبير: Tolerance, Toleratio يُراد به – بحسب – تعريف القواميس الإنكليزية والفرنسية لهذه الكلمة أنها السماح لشيء ما أن يُفعل مع أنك لا تحب هذا الشيء، فتُستعمل هذه الكلمة مثلًا في سماح الدولة بالتدخين أو شرب الخمور مع أنها تدرك أذى ذلك.

اصطلاحًا: فالتسامح tolerance: يعني الاستعداد لاتخاذ الموقف المتسامح؛ ولذلك فالتسامح حين يوجد هو بمعناه العام موقف الناس الذين هم في المراكز القوية، بمن فيهم السياسيون نحو الناس الذين هم في مواقع أقل قوة؛ ولكنه يمكن أن يكون كذلك موقف الأكثرية السائدة من الأقلية.

والتسامح هو مُكوِّن معرفي وجداني سلوكي نحو الذات والآخر والمواقف، متمثلًا في مجموعة من المعارف والمعتقدات والمبادئ والمشاعر والسلوكيات التي تدفع صاحبها للتصالح مع ذاته ومع الآخر، وتجعله متصفًا بالتسامح في مواقف الحياة المختلفة.

وهو موقف من الآخر سواء أكان إنسانًا أم فكرًا أم رأيًا، إنه الموقف الذي ينمُّ عن سَعَة صدر واستعداد لفهم وتفهُّم الآخرين.

كما يُعرَّف على أنه موقف فكري وعملي قوامُه تقبُّل المواقف الفكرية والعملية التي تصدر عن الآخر سواء أكانت موافقة أم مخالفة لمواقفنا.

ويُعرَّف بأنه السعي إلى المساواة بين جميع الأفراد في المعاملة حتى مع من يختلفون معنا في الرأي والمعتقد والأفكار وغيرها، ومحاولة فهم هؤلاء المختلفين معنا والتعاطف معهم.

ويعني التحكم في النفس عمدًا في مواجهة الشيء الذي يكرهه الفرد وفي مواجهة التهديدات وموضوعات الخلاف، كما أنه هو حرية المعتقد والتعبير والإقرار والاختلاف والتنوع مع ضرورة التعايش والتعاون.

كما يعرف التسامح بأنه الاحترام والقبول والتقدير لمختلف الثقافات في العالم ولأشكال التعبير المختلفة الخاصة بكل منها، فالتسامح يعني التجانس مع الاختلاف وهو يزداد مع المعرفة وانفتاح العقل والانفتاح على العالم وزيادة الاتصالات والتفاعلات مع الثقافات الأخرى، إلى جانب حرية التفكير والمعقدات والممارسات.

ويشير إلى قدرة الفرد على قبول الاختلاف واحترام الآخر، وعدم التمييز أو النبذ بسبب اللون أو النوع أو المعتقد أو الموقف الفكري أو المستوى الاقتصادي، والمعاملة الحسنة وعدم اللجوء إلى العنف تجاه الآخرين.

دوافع نشر قيم التسامح، تتمثل في الآتي:

- **التعدُّدية والتنوع:** تميز المجتمع بالتعددية والتنوع وفق النوع الاجتماعي والعُرْف والثقافة الاجتماعية والدين واللون والطبقة الاجتماعية.
- **الاختلاف:** من معاني التسامح قبول الآخر والتعايش مع الآخر واحترام الرأي الآخر والإقرار باختلاف حق وقبول التنوع.
- **التعارف:** بأن للمجتمع أفرادًا من شتى الأصول والميادين والجنسيات والطبقات الاجتماعية وأن الاختلاف والتنوع واقع للتسامح.
- **التعايش:** يعد التعايش أحد جوانب التسامح فلا يمكن التعايش في غياب التسامح.
- **المساواة:** تتعلق المساواة باندماج الأفراد في مجتمعهم على جميع المستويات.

أهمية التسامح، تتمثل في الاتي:

- الاحترام المتبادل بين الأديان والمذاهب.
- ثبات واستقرار المجتمع.
- ترسيخ قيم التعايش والحوار الحُرّ العقلاني.
- التغلب على المواقف التعصبية والتمييزية.
- الانفتاح بين الثقافات وتحقيق المكاسب المشتركة.
- احترام حريات الفرد وحقوقه.

نماذج للتسامح :

- **التسامح في الإسلام:**

إن التاريخ الإسلامي مليء بالوقائع التاريخية التي تحض على التسامح وتؤكد ضرورة التعاون بين الإنسان وأخيه الإنسان على الرغم من اختلاف الديانات وتعدد المِلَل، والمثال على ذلك صحيفة المدينة التي تهدف بالأساس إلى تنظيم العلاقة بين جميع طوائف وجماعات المدينة، وعلى رأسها المهاجرون والأنصار والفصائل اليهودية وغيرهم، حيث يتصدى بمقتضاه المسلمون واليهود وجميع الفصائل لأي عدوان خارجي على المدينة، والتي بها صارت جميع الحقوق الإنسانية مكفولة، كحق حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر، والمساواة والعدل. "فقد دُوِّن هذا الدستور – صحيفة المدينة – بشكلٍ يسمح لأصحاب الأديان الأخرى بالعيش مع المسلمين بحرية، ولهم أن يقيموا شعائرهم حسب رغبتهم، ومن غير أن يتضايق أحد الفرقاء.

- ومن التسامح الإنساني والديني في الإسلام: البِرُّ إلى الأسرى مهما كان مقدار الاختلاف معهم. قال تعالى: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) (سورة الإنسان، الآية: ٨). ومعلوم أنه عند نزول هذه الآية: كان الأسرى كلهم مشركون.
- ومن التسامح في مجال العلاقات الاجتماعية: الكرم والإنفاق في وجوه الخير، والإيثار والمواساة، والتواضع، وحُسن الخلق، والعفو والإعراض عن الجاهلين، واحتمال الأذى، وقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يزور غير المسلمين من اليهود والنصارى، ويكرمهم، ويُحسن إليهم، ويعود مرضاهم، ويتصدق عليهم، وقد تُوفِّي رسول الله ودرعه مرهونة عند يهودي؛ لتأمين نفقة نساء النبي، مع كثرة من كان يستطيع أن يأخذ منهم بلا رهن من

المسلمين، ولكنه فعل ليُعلِّم أمته التسامح مع من يخالفهم في الدين.

- ومن التسامح في وسيلة الدعوة: أن تكون باللين والرفق، قال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (سورة آل عمران، الآية: ١٥٩) وهذا التسامح ينطبق على الطغاة أيضًا، فقد قال الله تعالى لموسى وهارون لمَّا أرسلهما إلى فرعون: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (سورة طه، الآية: ٤٤).
- تسامح النبي مع قريش عندما فتح مكة ومواجهة النبي ﷺ لقوة كانت تتصدى له بكل ما أُوتيت من مال ورجال وعتاد، فلم يكن أحد أعدى للإسلام من أولئك الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم وأموالهم وقاتلوهم ثم صدوهم عن المسجد الحرام، ولكن حينما تمكن النبي منهم وعلت كلمة الحق عليهم قال: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ.
- تسامح النبي مع وفد نجران: حينما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ دخلوا عليه بعد صلاة العصر فحانت صلاتهم فقاموا يصلون، فقال رسول الله ﷺ: دعوهم فاستقبلوا فصلُّوا صلاتهم.

- **التسامح في الفلسفة الحديثة:**

لا بُدَّ لنا في البداية من القول أن الدعوة إلى فضيلة التسامح لدى كبار الفلاسفة جاءت نتيجة للتحوُّلات الأخلاقية الناتجة عن روح عصرَي النهضة والتنوير، وما صاحب ذلك من حروب دينية في مقدمتها حرب الثلاثين التي بدأت بين البروتستانت والكاثوليك، وما صاحبهما أيضًا من تطورات في مفهوم النزعة الإنسانية التي رسمتها قناعات فلاسفة هذين العصرين، والقائمة بالأساس على دعم مكانة العقل البشري في مقابل الفكر الغيبي كما تطرحه العقائد الكنسية.

- **جون لوك ورسالة التسامح:**

كتب (چون لوك) رسالة في التسامح، والتي جاءت في مقدمة وثلاثة اعتبارات، تهدف إلى الإقناع بأن قضية الإيمان بالعقيدة الدينية المسيحية هي أمر يخص الإنسان وربه ولا يجوز فرضها بالقوة عن طريق حاكم ديني أو مدني، في إشارة إلى الكنيسة ونُظُم الحكم السياسي

التي كانت تدور في فلكها، ورأى لوك تفرغ الكنيسة لأمور الآخرة وتفرغ الدولة والحكومات لأمور الدنيا، فكان ذلك أول دعوة لفكرة العلمانية الداعية لفصل الدين عن الدولة.

- **فرانسوا ماري ڤولتير ورسالة التسامح:**

من أشهر من كتب في موضوع التسامح من فلاسفة العصر الحديث نجد (ڤولتير) صاحب "رسالة في التسامح" Traite sur La Tolernce، والتي كتبها في غمرة غرق أوروبا في محيط التعصب الديني الذي ساد فرنسا على وجه الخصوص ضد الأقلية البروتستانتية، كما قام بالبحث في الوصايا القديمة والجديدة ليثبت أن التعصب الديني لا علاقة له بالأديان، وأن التسامح يمثل صلب العقيدة المسيحية، وفيما يلي شيء مما ورد في هذا الشأن من دعوة للتسامح، يقول (ڤولتير): "لقد وُجِد الدين ليجعلنا سعداء في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة؟ أن نكون صالحين، وما العمل كي نكون سعداء في هذه الدنيا في حدود ما سمح به بؤس طبيعتنا؟ أن نكون متسامحين، ويضيف قائلًا: "إنه لمن منتهى الحمق أن يدَّعي مُدَّعٍ أنه قادر على حمل البشر قاطبةً على التفكير بطريقة واحدة في شئون الميتافيزيقا، فتطويع الكون برُمَّته بقوة السلاح أسهل بما لا يقاس من تطويع العقول في مدينة واحدة".

- **التسامح في الفكر المعاصر:**

لما كانت بذرة التسامح تتجذر بين حينٍ وآخر في أراضٍ قد توصف أحيانًا بأنها أراضٍ بور لا ينمو فيها زرع، فإنها كما شاء لها الله في العصور الغابرة أن تنمو في ظروف صعبة لتثمر وتتكاثر وتطغى على بذور التعصب والكراهية، نجدها تنمو في عصرنا هذا بين حينٍ وآخر بفضل الله – عز وجل – وأسبابه المختلفة المتمثلة في رجال السياسة الأخيار تارة، ورجال الدين تارةً أخرى، ولما كان عصرنا هذا يغلب عليه للأسف التعصب السياسي والتعصب الديني بين الأديان المختلفة وحتى الدين الواحد، فإن حكمة التسامح تطل من حينٍ إلى آخر كالنور الإلهي بين ظلمات صراعات التزمُّت الديني تارة، وبين أحفاد التميز العنصري تارة، وبين الصراعات السياسية المدفوعة بحب السلطة وشهوة التسلط تارة ثالثة.

ففي هذا العصر الذي تشهد فيه الأمة الإسلامية تناحرًا بين أبنائها بدعوى إصلاح الدين والدنيا والآخرة مدفوعةً بدعاوى الكفر والتكفير، يجد المسلمون أصحاب التسامح والحق أنفسهم،

أمام نصائح أعلام الأديان الأخرى لتذكِّرهم بنبع الخير في الإسلام، ومواقف النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – التاريخية في ظروف مماثلة لما نعيش فيها من تعصبٍ وكبرياء زائف.

وفي عصرنا هذا موقف إنساني ناضج من أتباع المسيحية يُذكِّر العرب والمسلمين بمواقف نبيهم الكريم الأخلاقية التسامحية، ونعني بهذا المناضل الأفريقي ضد التمييز العنصري في بلاده جنوب أفريقيا "نيلسون مانديلَّا"، الذي اعتبره الكثيرون أيقونة النضال والتسامح، فقد عاش هذا الرجل ٢٧ سنة في السجن بسبب نضاله ضد نظام الفصل العنصري في بلاده بين البِيض القلَّة والسود أهل الأرض؛ عندما خرج مانديلَّا من السجن تزعَّم حزب المؤتمر الوطني الأفريقي في جوهانزبورغ، ورفع شعار العدل والمساواة بين البيض والسود، ونبذ نظام الآبارتايد المفروض من الأقلية البيضاء في البلاد.

وعليه شاء نيلسون مانديلَّا أن يفوز في انتخابات رئاسية ديمقراطية في بلاده ليكون أول رجل أسود رئيسًا لجنوب أفريقيا، وفاز بجائزة نوبل للسلام إثر مواقفه غير الانتقامية مع من كانوا سببًا في تعذيبه وسجنه ما يزيد على ربع قرن.

قال (مانديلَّا) عند تولِّيه الرئاسية في عام ١٩٩٤: "ندخل في عهد البناء لمجتمع يكون فيه جميع مواطني جنوب أفريقيا السود والبيض على السواء، قادرين على السير برءُوس شامخة من دون أن يعتصر قلوبهم أي خوف، مطمئنين إلى حقهم الثابت بالكرامة الإنسانية.. أمة قوس قُزَح بسلام مع نفسها والعالم".

وشاء القدر لمانديلَّا بعد تقاعده أن يحضر ما يطلق عليه (الربيع العربي) وشاهد القتال الشرس بين المسلمين والتعصب الديني والسياسي الذي انتشر بين العرب والمسلمين، وتضاءلت دعوة الدين الإسلامي في التسامح، الأساسية في العقيدة الإسلامية، فآلى على نفسه أن يدعو أصحاب هذا الربيع إلى ما قام به نفسه في هذه الظروف من استبعاد العزل السياسي، والفصل العنصري، متخذًا من دعوته هذه تذكيرًا للمسلمين بمبادئ دينهم الحنيف، وأخلاق النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وفيما يلي موجز نصوص ما قاله مانديلَّا:

إخوتي في بلاد العرب، إخوتي في مصر وتونس أعتذر أولًا عن الخوض في شئونكم الخاصة، وسامحوني إن كنت دسستُ أنفي فيما لا ينبغي التقحُّم فيه؛ لكنني أحسستُ أن واجب النصح أولًا، والوفاء ثانيًا لما أوليتمونا إياه من مساندة أيام قراع الفصل العنصري يُحتِّمان عليَّ

رد الجميل وإن بإبداء رأي محصَّته التجارب وعجمته الأيام وأنضجته السجون.. أحبتي ثوار العرب، لا زلت أذكر ذلك اليوم بوضوح كان يومًا مشمسًا من أيام كيب تاون. خرجت من السجن خرجت إلى الدنيا بعد أن وُورِيت عنها سبعًا وعشرين سنة؛ لأني حلمت أن أرى بلادي خالية من الظلم والقهر والاستبداد، ورغم أن اللحظة أمام سجن ڤكتور فستر كانت كثيفة على المستوى الشخصي إذ سأرى: وجوه أطفالي وأمهم بعد كل هذا الزمن، فإن السؤال الذي ملأ جوانحي حينها هو كيف سنتعامل مع إرث الظلم لنقيم مكانه عدلًا؟ إن إقامة العدل أصعب بكثير من هدم الظلم، فالهدم سلبي والبناء إيجابي.

تخيلوا أننا في جنوب أفريقيا ركَّزنا – كما تمنى الكثيرون – على السخرية من البيض وتبكيتهم واستثنائهم وتقليم أظفارهم، لو حصل ذلك لما كانت قصة جنوب أفريقيا واحدة من أروع قصص النجاح الإنساني اليوم، أتمنى أن تستحضروا قولة نبيكم (اذهبوا فأنتم الطلقاء).

ثانيـًا: قبول الآخر:

الآخر هو.. «كل البشرية». لا فرق بين لونٍ ولون، جنسٍ وجنس، دينٍ ودين، طائفةٍ وطائفة.

الآخر هو كل مَنْ يختلف عنا، أو نختلف عنه أو لا يشبهنا سواء من حيث اللون، الجنس، العادات، التقاليد، القيم، الفكر التوجه السياسي والديني.

وقبول الآخر هو قبول كل إنسان، في كل مكان وزمان.

ويعني أيضًا احترام الآخر وتقدير وتفهُّم ما لديه من مجموع المفاهيم التي ذُكرت سابقًا من أفكار وتقاليد وقيم.

أسس قبول الآخر

- الاهتمام بمشاعر الآخر: الاهتمام العميق بالآخرين ومشاعرهم واحتياجاتهم وآلامهم وأفراحهم، هو من أهم أسرار قبول الآخر. إن تقديمك لمشاعر المحبة والاهتمام الصادق، لا بُدَّ أن يثمر جاذبيةً في الشخصية وترحيبًا بك من القلب، وما أجمل عبارة مصطفى كامل الذى قال: «ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط» أي أنه لا تعدُّ حياته حياةً حقيقية، مَن يتمركز حول نفسه، ولا يخرج منها ليندمج بالحب مع الآخر، وقال الشاعر إيليا أبو ماضي:

يا صديقي أنا لولا أنت ما غنيتُ لحنًا .. كنت في قلبي لمًّا كنت وحدي أتغنَّى.

ولكي ندعم أواصر المحبة والترابط بيننا وبين الآخرين:

- ففي محيط الأسرة: عندما يشيع جوُّ المحبة والأُلفة والتضحية، يزيد الترابط بين أفراد الأسرة، وتقل المنازعات، ويزيد حجم التماسك الأسري، الذي به نستطيع أن نواجه ضغوط الحياة والمجتمع والظروف الخارجية، والتحديات التي تواجهنا.
- أما على نطاق الدراسة أو العمل: فإن ذلك يجعل من جو المدرسة أو الجامعة أو العمل جوًا دافئًا، مشبعًا، مبهجًا، يشعر فيه الإنسان بالأمان والانتماء. وهذه المشاعر تساعد على نمو الإنسان وتقدمه؛ خاصة أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، ولن يستطيع أن يعيش بمعزلٍ عن الناس.
- امتدح الآخرين وأشعرهم بتقديرك لهم: الحاجة إلى التقدير، تعدُّ من أهم احتياجات البشر، وهي رغبة متأصلة في النفس الإنسانية. وعندما تضع إنسانًا في مرتبة عالية اجتماعية فأنت تعطيه تقديرًا ساميًا يأسر قلبه في الحال، ويمنحه اعتبارًا كبيرًا، ويرفع من شأنه أمام نفسه، وأمام الآخرين. وبهذا يصير هذا الإنسان مقدِّرًا محبتك وتقديرك، قد يكون من الطبيعي أن تقدم التقدير لكل من هو كبير سنًا أو مكانةً، ولكن أن تقدم تقديرًا لمن هم أقل منك فهذا الأمر يستحق الثناء.
- تعلَّم فن الابتسامة: من أسرار قبول الآخر «الابتسامة»: فإن أردت أن يهرب منك الناس فارسُم على وجهك تجهُّمًا وكآبة ورفضًا للواقع وللآخرين، فأهم ملامح قبول الآخر هو الوجه، الذي هو واجهتك، فهو بطاقة التعارف التي تقدمها للآخرين، ومن خلال واجهتك هذه، تجذب الناس للتعامل معك، أو للنفور منك.

ثالثا: التعايش السلمى:

لغةً: تَعايَشَ: فعل، تعايشَ يتعايَشُ، تعايشًا، فهو مُتعايِش، وتَعايَشُوا: أي عاشوا على الأُلفةِ والمَوَدّةِ.

اصطلاحًا: اجتهد الباحثون في تعريف مفهوم التعايش السلمي، ومقارباته، وتوضيح المقصود به، فنجد أن بعضهم عبَّر عنه بالعيش والتعايش ضمن مصطلحات عدة، مثل: التسامح، والتقارب، والتساكُن، والتعاون، والتكامل، والتلاقي، والتجانس، وهو ما أفضى إلى تقسيم مدلول المصطلح إلى ثلاثة مستويات؛ الأول: سياسي أيديولوچي، والثاني: اقتصادي، والثالث ديني، ثقافي، حضاري، وهو الأحدث ويشمل – تحديدًا – معنى التعايش الديني، أو التعايش

الحضاري، ويقصد به التقاء إرادة أهل الأديان السماوية للعمل من أجل أن يسود الأمن والسلام في العالم.

والتعايش في المجتمع: يعني أنه مُجْتَمَعٌ طَائِفِيٌّ يَعِيشُ أَهْلُهُ فِي تَعَايُشٍ وَوِئَامٍ: أي يَعِيشُونَ فِي تَسَاكُنٍ وَتَوَافُقٍ دَاخِلَ الْمُجْتَمَعِ عَلَى الرَّغْمِ مِن اخْتِلَافِهِمُ الدِّينِيِّ وَالْمَذْهَبِيِّ.

والتَّعَايُشُ السِّلْمِيُّ: تَعْبِيرٌ يُرَادُ بِهِ خَلْقُ جَوٍّ مِنَ التَّفَاهُمِ بَيْنَ الشُّعُوبِ بَعِيدًا عَنِ الحَرْبِ وَالعُنْفِ، والتعايُش «احترام الآخرين وحرياتهم والاعتراف بالاختلافات بين الأفراد والقبول بها، وتقدير التنوع الثقافي».

وظهرت صيغة التعايش السلمي رسميًا للمرة الأولى في نص اتفاقية «بانش شيلا» بين الصين والهند عام ١٩٢٢م، وتجلت معاني المصطلح دلاليًا بوضوحٍ في إطار المعنى السياسي بين النظامين الخَصْمين: الاشتراكي والرأسمالي، ويشار إلى أن أول من استخدم مصطلح التعايش السلمي هو الرئيس السوفيتي «خروتشوف»، ضمن تصور يحقق فيه أهدافه بطريقة تنسجم مع مقتضيات التغيرات التي تطرأ على المسرح الدولي، كوجود ما يعرف بتوازن الرعب، والحد من الصراع، أو العمل على احتوائه.

وعرفت «اليونسكو» التعايش في بيان لها بأنه احترام الآخرين، وحرياتهم، والاعتراف بالاختلافات بين الأفراد، والقبول بالآخر، وتقدير التنوع الثقافي.

كما عُرِّف بأنه: اجتماع مجموعة من الناس في مكان معين، تربطهم وسائل العيش من المأكل والمشرب وأساسيات الحياة بغَضِّ النظر عن الدين والانتماءات الأخرى، ويعترف كل منهما بحق الآخر دون اندماج وانصهار، أي أن يكون التعايش المطلوب مع مجموعة مختلفة في الدين أو اللون أو الطائفة أو القومية.

فالتعايش السلمي يدعو الناس إلى التسامح والتآخي، فإذا حققوا ذلك استطاعت مجتمعاتنا العربية والإسلامية؛ وكذلك دول العالم أجمع، رسم ملامح الحضارة الإنسانية المبنية على الحقوق والواجبات.

خصائص التعايش، تتمثل فيما يأتي:

- القول بحرية التديُّن والتركيز على القواسم المشتركة.
- منع كل ألوان الاعتداء على الآخر.
- منع الكراهة الدينية والدعوة إلى الإخاء الإنساني.

- المطالبة بالحرية الدينية للأقليات غير المسلمة في البلاد الإسلامية، والعكس بالعكس، والتعامل معهم على أساس الوحدة الوطنية.
- الإقرار بالأديان السماوية جميعًا.
- الاجتماع على تقوية الصلة بالله في النفوس؛ وخاصة بعد طغيان المادية وتفشِّي قيَمها المسيطرة على الشباب في العالم.
- البعد عن العنف والإرهاب والتطرف الديني والتكفير، وأيضًا البعد عن التدخل في خصوصيات الآخر الدينية.

مبادئ التعايش، من أهم مبادئ التعايش ما يلي:

- التعارف وكسر حواجز الجهل المتبادل، وتعميق عوامل الوئام الاجتماعي، لعلنا لا نبالغ حين القول بأن الحوار بين البشر هو الوسيلة المُثلَى للتعارف وإضاءة النقاط المظلمة في العلاقات بين البشر؛ لذلك أكَّد القرآن الحكيم هذه القيمة، واعتبر أن التعدد والاختلاف الموجود بين البشر، ليس من أجل الاستعلاء والانزواء، وإنما هو من أجل التعارف وكسر حواجز الجهل المتبادل، وصولاً إلى تعميق عوامل وأواصر التفكير الحر والسليم.
- التعاون، إذ إننا مطالبون أن نوصل مفهوم التعارف بيننا إلى مستوى متقدم يؤهلنا نفسيًا وعمليًا للتعاون، حيث إننا كمجتمعات، لا يمكن أن نثبت مفهوم التعايش السلمي بدون تطوير مستوى التداخل والتعاون بين مُكوِّنات الأمة والمجتمع والوطن؛ إذ إن وحدة المجتمعات، بحاجة إلى تشابك مصالح مكوناتها، وتعاون أُطُرها ومؤسساتها في سياق تعميق هذا الخيار، وتجذير مشروع التعايش السلمي.
- العدل، وذلك لأن تجاوز حقوق الآخرين، والتعدي على خصوصياتهم، يفضي إلى غياب الاستقرار السياسي والاجتماعي، ولا تعايش سلمي بدون استقرار، ولا استقرار بدون عدل بحيث يُعطى كل ذي حق حقه؛ لذلك فإن من المبادئ الأساسية للتعايش السلمي، هو ترسيخ مبدأ العدالة في الواقع الاجتماعي بحيث يسود هذا المبدأ، الذي هو أساس الاستقرار في العلاقات الاجتماعية وأنماط التواصل بين مختلف شرائح وفئات المجتمع.
- التسامح، أحد مرتكزات التعايش السلمي بين الشعوب والأمم، ولكن ليس من التسامح في شيء تصديق كل ما يقال من رأي يطرح وإقرار كل مبدأ ومباركة كل تصرف أو موقف وإن

كان على خطأ أو باطلًا، وليس معناه ألَّا يقال للحق أنه حق. التسامح، في جوهره، احترام قيم وموروثات الآخرين، وليس بالضرورة اتباعها، فالتسامح ضرورة حياتيَّة، بعد تحقيق العدالة، والتعويض العادل وجبر الضرر، وأنَّ الغلو في العداوة، والشطط في الخصومة، هما موردان من موارد الهلاك، فالبشرية مجبولة على الخطيئة، وهذا ليس تبريرًا لوقوع الظلم، وإنما إقرارٌ بواقعية الحياة، وعلى الأفراد والجماعات التحوُّط لوقوع الظلم، والاحتراس منه، والاستعداد للتصدي له.

- الديمقراطية، وذلك بتهيئة المجتمعات لتبنِّي نظام ديمقراطي يوفر الفرص لشرائح المجتمع المدني كافة، وتكفل الأنشطة الجماهيرية للأحزاب ونقابات ومؤسسات المجتمع المدني، وتشجيعها على تقديم مشاريعها الإصلاحية للمواطنين من أجل اختيار الأصلح منها.

وإضافة لما سبق طرحت الصين مع الهند وميانمار عام ١٩٥٤، المبادئ الخمسة للتعايش السلمي: الاحترام المتبادل للسيادة ووحدة الأراضي، عدم الاعتداء المتبادل، عدم التدخل في الشئون الداخلية بصورة متبادلة، المساواة والمنفعة المتبادلة، والتعايش السلمي، لقد كان ذلك عملًا عظيمًا في تاريخ العلاقات الدولية، وقدم إسهامًا تاريخيًا في دفع بناء نمط جديد للعلاقات الدولية العادلة والسليمة.

رابعًا: نماذج عالمية للتعددية الثقافية وقبول الآخر:

يختلف تعامل البلدان الأوروبية المُستقبِلة للمهاجرين بشكلٍ واضحٍ مع الثقافة الأصلية للمُتحدِّرين من أصول عربية إسلامية بشكلٍ عام، ويخضع ذلك قبل أي شيء آخر، لنموذج الاندماج المعمول به في كل بلد.

- **بالنسبة إلى النموذج الفرنسي** يعتمد ما يسمى بالنموذج الانصهاري، والذي يرمي إلى تذويب ثقافة المتحدرين من أصول أجنبية في الثقافة الفرنسية في ظرفِ جيلٍ واحد، ويعدُّ ذلك شرطًا أساسيًا حتى يعترف بهم المجتمع الفرنسي بشكلٍ رسمي، من هذا المنطلق يرفض النموذج الفرنسي تعدد الثقافات في المجتمع، ويعدُّها خطرًا على فرنسا وهُويَّتها، وهو يستند على الوحدة السياسية والترابية والثقافية وليس على الوحدة الدينية أو العرقية كما سلف ذكره؛ لذا فهو لا يقبل ما يسمى بالأقليات؛ لأنها حَسَبَه، تعرقل المُواطنَة التي تعدُّ الغاية الأساسية لتحقيق التلاحم الاجتماعي، بمعنى أن المجتمع الفرنسي مكون من مواطنين وليس من أقليات أو من جاليات عِرْقية

أو دينية أو ثقافية. ورغم أن هذا النموذج الفرنسي يتفادى الحديث عن "المواطنة العابرة للحدود" والتي تجعل المتحدرين من أصول أجنبية يرتبطون كذلك بأوطان وثقافة الآباء، فإنه يرى في هذه المواطنة العابرة للحدود إضعافًا للمواطنة الفرنسية.

ويلتحق الطفل بالمدرسة في فرنسا في سن الثالثة، ويكون ملزمًا بالاستمرار بها إلى الخامسة عشرة (مرحلة التعليم الإجباري)، وخلال ١٢ سنة من الدراسة، يتعلم اللغة وطريقة التفكير الفرنسية، ويحرص النموذج الفرنسي على وصول أكبر عدد من التلاميذ إلى الجامعة، بحيث تبلغ نسبة المتحدرين من أصول عربية الذين يصلونها إلى ٣٠٪، وهي من أعلى النسب المسجلة في البلدان التي تستقبل "المهاجرين"، وبحكم أن التعليم عَلْمَانيّ، فالدين لا مكان له في المدرسة العمومية، أما اللغات الأجنبية فتدرس وفق شروط خاصة، ورغم أن العربية هي اللغة الثانية في فرنسا من حيث عدد المتكلمين، ورغم أنها أُعتُبرت منذ سنة ١٩٩٩ "لغة فرنسا"، بعد توقيع "الميثاق الأوروبي للغات الجهوية ولغات الأقليات"، فإن حضورها لا يزال محدودًا جدًا في المدرسة العمومية، بحيث لا يتجاوز عدد الذين يدرسونها في الإعدادي والثانوي كلغة ثانية ٦٠٠٠ من مجموع ٥ ملايين تلميذ، وهو ما يمثل أقل من ١٪، مقابل ٩٨ ٪ يدرسون الإنجليزية، غير أن هناك حضورًا أكبر للغة العربية في التعليم الابتدائي، إذ يصل عدد التلاميذ إلى ٤٠ ألفًا، أما السبب، فهو أن تعليم العربية في المستوى الابتدائي يتم بتعاون بين الحكومة الفرنسية وحكومات البلدان العربية، التي ينتمي إليها أغلب المتحدرين من أصول مسلمة في فرنسا.

– **بالنسبة إلى النموذج البريطاني** فهو يقول بالتعدد الثقافي، وهناك اعتراف رسمي بوجود مجتمع متعدد الأعراق والعادات والثقافات، وكل مجموعة لها خصوصياتها التي لا يجب مَحوُها من أجل تحقيق الاندماج، بل يمكن تحقيقه مع الحفاظ عليها. ولا يثير موضوع الاندماج نفس النقاش والجدل الإعلامي الذي يثيره في فرنسا؛ لأن قضية الاندماج ليست مطروحة على المستوى العمومي وإنما على المستوى الخصوصي، ويسعى النموذج البريطاني إلى خلق وعي جماعي بوجود قواسم مشتركة تتمثل في انتماء الجميع إلى مجتمع واحد هو المجتمع البريطاني.

وتسهر الحكومة على توفير الآليات التي تضمن نوعًا من العلاقة السَّلِسَة بين مختلف الأقليات الدينية والعرقية والثقافية، مثل تشجيع إنشاء المدارس التي تسمح بالحفاظ على الثقافة الأصلية لهذه الأقليات، وتفوض من أجل ذلك للجمعيات والهيئات الدينية التابعة للأقليات، السهر على وضع برامج التعليم ومراقبته بهذه المدارس، وتقدم لها الدعم المالي اللازم. ورغم هذه

التسهيلات، لا يزال عدد المدارس التي تقوم بتعليم الثقافة العربية والإسلام محدودًا. أما السبب فهو أنها وعلى غرار بقية مدارس الأقليات، تتحول في الكثير من الأحيان إلى "غيتوهات ثقافية"، كما أن المردودية بها هي أضعف من تلك المسجلة في المدارس العمومية، ويجد أطفال هذه المدارس صعوبة في إتقان اللغة الإنجليزية، ولا تتجاوز نسبة من يصل منهم إلى الجامعة ١٣٪.

- **أما بالنسبة إلى النموذج الهولندي**؛ فلا يختلف في الاندماج إلا بشكل محدود عن النموذج البريطاني، بحيث يقول هو الآخر بالتعدد الثقافي، إلا أن مدارس الأقليات لها حضور أكبر من بريطانيا، إذ تمثل أكثر من ثلاثة أرباع مدارس البلاد، وتسمى "المدارس الخاصة"، وهي مُموَّلة ومراقبة من طرف الدولة، ولها نفس الصفة القانونية التي للمدارس العمومية والتي لا يتجاوز عددها ربع مجموع المدارس، كما أن الاهتمام بالثقافة العربية الإسلامية هو أكبر من ذلك المسجل ببريطانيا، ويصل عدد المدارس العربية التي تشرف عليها الحكومة إلى قرابة ٤٥، يدرس بها أكثر من ١٠ آلاف تلميذ أغلبهم من أصول مغربية غير أن هذه المدارس عرفت تراجعًا في المدة الأخيرة، بحيث أغلقت ثانوية أمستردام الإسلامية أبوابها سنة ٢٠١٢، وبقيت في كل هولندا ثانوية واحدة؛ هي ثانوية ابن خلدون التي أصبحت هي الأخرى مهددة بالإغلاق، ومن أسباب تراجع الإقبال على المدارس الخاصة بالجالية المسلمة ضعف النتائج مقارنةً مع المدارس العمومية، وسوء التسيير الإداري والمالي.

ويفضل العديد من المهاجرين في الوقت الحاضر إرسال أبنائهم إلى المدارس العمومية، لكن دون التفريط في اللغة والثقافة العربية الإسلامية؛ لذا كانت هناك مبادرات لإدراج هذه الثقافة في المدرسة العمومية، غير أن تلك المحاولات لم تُكلَّل لحد الآن بالنجاح؛ فقد رفضت محكمة في لاهاي، في نوفمبر ٢٠١٣، دعوى تقدمت بها ثلاث منظمات مغربية وتركية ضد الدولة الهولندية، تطالب فيها بتعليم اللغة والثقافة الأصليتين للمتحدرين من أصول أجنبية في المدارس العمومية الهولندية.

وحسب قوانين التعليم الهولندية، كل المدارس الابتدائية والإعدادية ملزمة بتعليم مادة الأخلاق والتي تقدم ضمن أشياء أخرى، معلوماتٍ عن مختلف الديانات. غير أن أغلب مدارس الأقليات تستغل ذلك للتركيز على ديانتها، حيث تزيد من عدد ساعات تدريسها، وتستدعي مرشدين ورجال دين لتلقينها.

- **أما بالنسبة إلى إسپانيا**؛ فنموذجها في الاندماج والذي يتأرجح بين النموذجين:

الفرنسي والبريطاني (لم يُحسم بعد هل الانصهار أم التعدد الثقافي)، فيطرح إشكالًا كبيرًا بسبب خصوصية الإسلام الإسپاني؛ لأنه غير مرتبط في جذوره بالمهاجرين المسلمين، وإنما بالإسپان أنفسهم، لأن الهجرة ظاهرة حديثة نسبيًا، وعندما عادت الديمقراطية إلى إسپانيا، ومعها التعددية السياسية والدينية، طفت إلى السطح مجموعات كشفت أن التقاليد الإسلامية لم تختفِ بينها منذ المرحلة الأندلسية، بحيث تم توارثها أحيانًا في الخفاء، وقد بدأ الآلاف باعتناق الإسلام، وتأسس حزب سياسي بمنطقة الأندلس، هو "الحزب الأندلسي"، الذي يعتبر الإسلام والحضارة الأندلسية مُكوِّنين أساسيين في مشروعه السياسي والفكري.

وسيدخل هذا التيار في مواجهة مع التيار المسيطر في إسپانيا والذي يعتبر الوجود العربي الإسلامي احتلالًا، وأن إسپانيا تأسست ككيان بسبب حربها على الإسلام؛ وأن المواطن لا يمكن أن يكون إسپانيًا ومسلمًا في الوقت ذاته. ولا تزال المواجهة الإيديولوچية قائمة بين التيارين، بسبب الطريقة التي يحاول بها كل طرف تسخير التاريخ من أجل تكريس مفهوم المواطنة بالشكل الذي يراه هو، وتنظم سنوية يوم ٢ يناير بمدينة غرناطة احتفالات سقوط غرناطة، حيث يخرج إلى الشارع الآلاف، وتقع أحيانًا مواجهات بين اليمين المتطرف ودُعاة الإسلاموفوبيا من جهة، وبين المسلمين الإسپان الذين يرفضون تلك الاحتفالات، ويعتبرون أنها تستهدفهم مع أنهم مواطنون إسپان، ويدافعون عن موقفهم بجملة تقول: "بماذا سنحتفل نحن لم نفقد شيئًا ولم نربح شيئًا؛ لأن إسپانيا هي الأندلس والأندلس هي إسپانيا".

أما بخصوص تعليم الثقافة العربية الإسلامية في المدرسة العمومية، فقد التزمت به الدولة منذ سنة ١٩٩٢، من خلال اتفاقية وقَّعتها مع "اللجنة الإسلامية الإسپانية"، غير أن ذلك لا زال يعرف صعوبات كبيرة في التطبيق، فالاتفاقية تقول بأن الحكومة ملزمة بتوفير أستاذ بكل مدرسة يوجد بها عشرة تلاميذ كحد أدنى، عبروا عن رغبتهم في تعلُّم الإسلام والثقافة العربية، لكن هذا لم يتحقق على أرض الواقع. ويشترط في المعلمين أن يتخرجوا في الجامعات الإسپانية، أو أن يحصلوا على معادلة لشهادتهم الجامعية بتلك التي تمنحها وزارة التعليم العالي الإسپانية، كما أن لِلَّجنة الإسلامية في إسپانيا حق انتقاء أساتذة اللغة العربية بتنسيق مع وزارة التعليم الإسپانية.

- **وفي بلچيكا**، رغم أن الدولة لا تتدخل في الشأن الديني، فإن السياسات الحكومية في مجال التعليم تحترم الخصوصيات الدينية للأقليات، وتتولى وزارة الشئون الدينية تمويل

المؤسسات الدينية المكلفة بالإشراف على التعليم الديني في المدارس العمومية، والتي يمكن للأطفال الذين يدرسون بها أن يختاروا خلال مرحلتَي التعليم: الابتدائي والإعدادي بين مادتَي الديانة والأخلاق العلمانية، وكانت المدرسة العمومية في بلـچيكا سباقة لتعليم الإسلام والثقافة العربية، حيث تقرر إدراجهما في برامج الدراسة منذ ١٩٧٤. وتقدم المدارس العمومية التي بها مطاعم وجبات خاصة بأبناء المسلمين، ويشرف المركز الإسلامي ببروكسيل التابع للدولة، على التعليم العربي الإسلامي بالمدارس العمومية. ويوجد قرابة ٧٠٠ مدرس لهذا الغرض، يحصلون على رواتبهم من الحكومة البلـچيكية.

- **وبالنسبة إلى الصين**، يعد التفاعل بين المسلمين والصينيين تفاعلَ علمٍ وحكمة ولم يكن تفاعلًا عدوانيًا ولا عسكريًا، بل كان تفاعلًا سياسيًا وسلميًا قام على مفهوم تبادل المصالح والتأثير المتبادل من الطرفين، حيث استفاد المسلمون من الصينيين في مجالات الطب والصيدلة والملاحة البحرية وصناعة الخزف، بالإضافة إلى العلوم الأخرى التي حدت بالمسلمين ليقولوا نقلًا عن النبي – صلى الله عليه وسلم – "اطلبوا العلم ولو في الصين". وكانت الصين أكثر تقدمًا من غيرها من الدول عندما ظهر الإسلام، وتعد الصين أكثر الحضارات سلمية ولم تخرج غازيةً لأراضٍ أخرى كما حدث من الشعوب والحضارات الأخرى.

أما بالنسبة إلى مبدأ التوافق واستيعاب الآخر، فكانت المدارس الفكرية تتبارى أو تتصارع سلميًا وتعيش الكونفوشية مع البوذية مع الطاوية وهكذا، ولعل الحكمة الصينية التقليدية قولهم: «دَعْ مائة مدرسة فكرية تتبارى ومائة زهرة تتفتح». وقد استفاد الصينيون من التقدم العلمي في الحضارة الإسلامية، في فن العمارة وعلوم الفلك ومن الإدارة الإسلامية عندما حكم بعض المسلمين العرب في بعض مناطق الصين، وهم لم ينكروا ذلك بل إن مُتْحَف الحضارة والثقافة العربية الإسلامية في مدينة شوانـچو خير شاهد على ذلك.

راجع في ذلك:

- ابن منظور، لسان العرب ، مادة سمح ، المجلد ٦، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧.
- حنان كمال أبو سكين: التعددية الثقافية وإشكالية التطبيق، مركز الدراسات الاستراتيـچية، ٢٠١٤.
- عبد الحليم ندا: الحضارة العربية الإسلامية وتفاعلها مع الحضارات الإنسانية، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية، العدد (٨)، أكتوبر، ٢٠١٧.

- عبد الواحد أكمير: كيف دبر مغاربة أوروبا التعددية الثقافية؟ (الجيل الثاني والثالث)، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، أكتوبر، ٢٠١٦.
- عبد ربه عبد القادر حسن العنزي: التعايش السلمي من منظور إسلامي، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، العدد (٤١)، ٢٠١٧.
- محمد محمد سليم أحمد: دور جماعات النشاط في تنمية قيم التسامح لدى أعضائها، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، المجلد (٣) العدد (٥٠)، أبريل، ٢٠٢٠.
- مقبولة مسعود علي العوامي: الجذور المعرفية والفكرية للتسامح الديني في الحضارة، المجلة الليبية العالمية، العدد (٢٠)، كلية التربية بالمرج – جامعة بنغازي، مايو، ٢٠١٧.
- هيئة التحرير: التسامح الديني وثقافة الاختلاف، مجلة المشكاة – جامعة الزيتونة، العدد (١٥)، ٢٠١٧.